

دلائل الإعجاز

له . ذاك لأننا لم نتعبد بتلاوته وحفظه والقيام بأداء لفظه على النحو الذي أنزل عليه وحراسته من أن يغيره ويبدله إلا لتكون الحجة به قائمة على وجه الدهر تعرف في كل زمان ويُتوصّل إليها في كل أوان ويكون سبيلها سبيل سائر العلوم التي يروها الخلف عن السلف وبأثرها الثاني عن الأول . فمن حال بيننا وبين ماله كان حيفاً لنا إيّاه واجتهادنا في أن نؤدّيّه ونرعاه كان كما من رام أن ينسيهناه جملةً ويؤدّيّه من قلوبنا دفعةً . فسواء من منعك الشيء الذي يُنتزع منه الشاهد والدليل ومن مذكرك السبيل إلى انتزاع تلك الدلالة والاطلاع على تلك الشهادة . ولا فرق بين من أعدمك الدواء الذي تستشفي به من داءك وتستتقي به حشاشة نفسك وبين من أعدمك العلم بأن فيه شفاءً وأن لك فيه استبقاءً . فإن قال منهم قائل : إنك قد أغفلت فيما رتبته فإن لنا طريقاً إلى إعجاز القرآن غير ما قلت وهو علمنا بعجز العرب عن أن يأتوا بمثله وتركهم أن يعارضوه مع تكرار التحدّي عليهم وطول التقريع لهم بالعجز عنه . ولأن الأمر كذلك ما قامت به الحجة على العجم قيامها على العرب . واستوى الناس قاطبة فلم يخرج الجاهل بلسان العرب من أن يكون مخرجاً بالقرآن . قيل له : خبيرنا عمّا اتفق عليه المسلمون من اختصاص نبيّنا عليه السلام بأن كانت معجزته باقية على وجه الدهر أتعرف له معنى غير أن لا يزال البرهان منه لائحاً معرضاً لكل من أراد العلم به وطلب الوصول إليه والحجة فيه وبه ظاهرة لمن أرادها والعلم بها ممكناً لمن التمسها فإذا كنت لا تشك في أن لا معنى لبقاء المعجزة بالقرآن إلا أن